التشكل الثقافي شمال الصحراء النسق الشنقيطي نموذجا

د. محمد الأمين بن الناتي

جامعة– نواكشوط

ملخص:

بدا لنا، بعد الوقوف على العوامل الفاعلة في الكيانات الثقافية شمال الصحراء، أن بالإمكان اتخاذ بعضها نموذجا للدراسة؛ وبالمقارنة بين "وادان" وشنقيط، خلصنا إلى أن العوامل الفاعلة فيهما، كجزء من النظائر (ولاتة وتيشيت ووادان وشنقيط)، هي ذات العوامل، ويأتي العامل الروحي في مقدمتها، متلبسا بالخوارق، ومَتبطِّنا الصيغة الجماعية، في نظام قوامه التكافؤ والتوازن. وقد ساعد على ذلك في شنقيط، المُتَّخَذة نموذجا، مواتاة بيئية، ونشاط اقتصادي منظم؛ فسادت منظومة فكرية استأثرت بنشاط العقل والسلوك؛ ووسمت كل شيء بطابع التشدد، وقنَّنَت بكثير من الصرامة؛ مُحدِّدَة ما يأتيه الإنسان وما لا يأتيه.

Abstract:

After reviewing the cultural entities of Northern Sahara, we have found that the common denominators, and similarities, are so important to enable us to take one of them as a model for study; we have established, through the comparison between Wadan and Chinguetti, the existence of an almost identification in the acting factors in those entities, namely the ancient cities of (Walata, Tichit, Wadan and Chinguetti). It seemed that the spiritual factor comes, first among these actors, followed by supernatural miracles as a serving agent; this dominating factor is then positioned as sub-consciousness of the social formula, embodied in a system, based on equity and balance.

In Chinguetti, chosen as a case study, this status was made easier by a favorable environment, and a well organized economic activity;

leading to the prevailing of a system of thought, governing the activity of both mind and behavior; characterizing every aspect of a life with rigidity, and stamping with rigor all individual acts; thus, defining to the individual what one should or should not do.

مقدمة:

لعل بيان المُتوخَّى من هذه الدراسة، وتحديد المنهج المتوسَّل به إلى غايتها أمران يناسبان بدايتها. وقد يكون للعنوان وشايةٌ ببعض ذلك، ولكن نسبيَّة المفاهيم تدعو إلى تقييد الاستعمال؛ كي لا يكون تأثير النسبية حادا؛ لأن استعمالات بعض المُتعاطِين، تُحتِّم علينا أن نحدد ما نبغي؛ خشية إرباك المتلقي وتعطيل فهمه.

من هنا يتعيِّن أن نوضح الخلفية النظرية التي ستحكم مسعانا، والمنهج المعتمَد، والمفاهيم الإجرائية التي سيكون الركون إليها، وبمراعاة طبيعة الكيان المدروس، الذي ستكون الأحكام عليه هي مآل التحليل؛ وتكون مواءمتها له هي ما يعطي لهذه المقاربة معنى، ويضمن للمحاولة أن تكون وجيهة.

1 . الخلفية النظرية والمفاهيم

قد يكون للقارئ أسئلة، حين الشروع في هذه المحاولة؛ لأن تعهُّدات الدارسين المضَمَّنة في ترابط مكونات العنوان، وما ينشأ عنها من علاقات يلزَم أن يمهد الباحث لفهمها. وربما يكون من تلك الأسئلة: ما الذي يحدو إلى تَفهُّم هذا النوع من الظواهر، في مسعى هذه الدراسة؟ وما الحقل المعرفي الذي تَتَنزَّل فيه؟

هل هي أخذ بعلم الإناسة (الأنتربولوجيا)، وتوظيف مفاهيمه في الفضاء المدروس؟ أم هي اعتقاد في الرؤيا الاجتماعية/الثقافية – socio (culturelle)؟ أم أنها من قبيل تاريخ الأفكار الذي لا يراها كائنات تتعالى فوق الإكراهات الواقعية؟ أو هي تَأْريخ بمعنى التاريخ العام، أو تأصيل الظواهر الثقافية، وتجلية ملابسات نشوئها في المكان والزمان؟

وسيكون منا ـ في المُستهَلّ ـ إقرار أن هويتها شيء من كل تلك؛ لا يَتَأتَّى تحديدها إلا بمستوى معين من حضورها جميعا؛[1] وسينشأ حينئذ سؤال آخر عن الوسيلة الموصلة إلى ذلك؛ مما يُسوِّغ إقرارا ثانيا، هو اعتقادنا ألاَّ سبيل إلى تحقيق المُبْتَغى، من خلال منهج واحد. فمع صلاحية بعض المناهج التي سنعمِد إليها، لإذلال صعاب كثيرة؛ فإن صعوبات أخرى ـ لا تكفي تلك المناهج لإذلالها ـ هي سبب اللجوء إلى أخرى رافدة،[2] وسنعمل على مواءمة بعضها بعضا؛ عسى أن يفضي التشابك بينها جميعا إلى ما نبغي.

مرد العدول عن أحادية المنهج، أنه يستتبع الإجابة عن تلك الأسئلة، تطواف في سياق نشوء الكيان، ومقومات وجوده، والعوامل الفاعلة فيه؛ ثم في تشكيله العام، ومختلف مكوناته؛[3] انتهاء إلى قيام المَثَّل، وتحديد أبعاده المادية والفكرية؛ ومحاولة تَلَمُّس نظامه الفكري، وكشف شبكة علاقاته في بنيتها العميقة. مما يستدعي وقفة تاريخية؛ والعمد إلى مفهوم الثقافة، بمعنى ما يحايث الوجود البشري من شروط الحياة المادية والفكرية؛[4] وبسبب من الإلماحات السابقة، يصبح من الراجح لدينا أن نعمد إلى الرؤيا النسقية؛ وأن نستجيب لمقتضياتها.

---

[1] . المنحى الشمولي يقتضي تشابك المناهج، وأصبحت تعمد إليه المقاربات الثقافية، والدراسات الإنسانية عموما، وقديما نبه ابن خلدون إليه، المقدمة، دار الفكر، بدون تاريخ، ص:9؛ ودعا إليه كل من محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء القومي ط1 1986، بيروت، ص: 26؛ والدكتور محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، ط1 1987، بيروت / الدار البيضاء، ص: 5.

[2] . وقد عمدنا إلى مثل ذلك في عملنا: الثقافة الشنقيطية/ مقاربة نسقية، مركز نجيبويه للتراث والمخطوطات، القاهرة، 2011.

[3] . محاولةً لتلمُّس مكونات النسق وأطره المرجعية؛ ووفق منظور التاريخ الشامل، كما يرى كل من عبد الله العروي، تقديم كتاب السلطة والمجتمع في المغرب، نموذج أيت باعمران، لعلي المحمدي، دار توبقال للنشر ط1 1989، الدار البيضاء، ص: 5؛ وقسطنطين زريق، نحن والتاريخ، دار العلم للملايين ط4 1979 بيروت، ص: 77.

[4] . عملا بمفهوم الثقافة الشمولي، الذي يشمل المعارف، وطرق العيش، وأنماط السلوك، وما إليها.

وبذا سنحاول، أن نقف عند سياقات التأسيس في الكيانات التي يحيل عليها العنوان؛ متلمسين الشروط البشرية والمادية للنشوء، والظروف المحيطة، ناهيك عن تحديد العوامل المشتركة الفاعلة في قيام تلك الكيانات؛ واستبيان أنظمتها الفكرية؛ ومختلف الأصوات الثقافية، وإن كنا سنركز على أنساق ثقافية، دون سواها من الأنساق (الأصوات الثقافية الأخرى)؛ مستغلين ما يربط الأنساق بعضها ببعض، ومنطلقين من مستويات التأثر والتأثير المتبادلين؛ لنبين حينئذ أي نسق كان الغالب؛ فقام سواه تَكيُّفا معه، وتعضيدا لوجوده؛ وتمكينا لغاياته وأهدافه.

2 ـ أفق التمثُّل ومقومات الوجود

أ ـ الائتلاف والاختلاف (التشابه والترابط):

سنقتصر على مدينة شنقيط، ونعتبرها مثالا، يصدق عليه ما يصدق على الكيانات الثقافية شمالي الصحراء، والممتد فضاؤها من "تيمبكتو" في الجنوب الشرقي، مرورا ب"ولاتة" و"تيشيت"، إلى شنقيط و"وادان"؛ لتسليمنا بالتشابه القائم بين تلك الكيانات، ولافتراضنا وحدة العوامل التي عملت في قيامها، وتشابه الظروف التي صاحبت نشأة كلٍّ منها؛ إذ أن وحدة العوامل وتشابه الظروف كافية في الاقتصار على بعضها لتَبَيُّن العوامل الفاعلة في القيام؛ وتَلمُّس ما اكتنف النشأة من ظروف تقتضي تعميم عوامل القيام وظروف النشأة.

لئن انطلقنا ـ وفق التسليم بتشابه الكيانات الثقافية شمالي الصحراء ـ من أن فضاء التشابه يَنْداح برحابة؛ فإننا سنقترح تضييقا له؛ مُقْتصِرين على مدن "ولاتة" و"تيشيت" وشنقيط و"وادان"؛ لأننا نمتلك من المعلومات عن هذه ما لا نمتلك عن "تيمبكتو" التي لا يتوافر لدينا عن نشأتها مثل ما يتوافر عن نظائرها؛ ولعل أوجهُ مغايَرة حاصلة بين تلك الحواضر. وربما يكون لتلك

المغايرة، ولطبيعة النسيج الاجتماعي أثر في نوع من التمايُز، وإن كان غير مخِلٍّ بفعل المؤثرات العامة؛ مما يُسوِّغ اعتبار التماثل أساسا للتمثيل.

والدليل على وحدة العوامل وتشابه ظروف النشأة، يؤكده اختيار المواقع، والخطط المتبعة، والأهداف المؤمَّلة؛ وتكون الدوافع هي الفرار من البدعة؛ وهجرة المدينة الأم، أو وضع اجتماعي مُختَلٍّ.[1] ويتحكم في الاختيار المواتاة البيئية، وتَوافُر مقومات الحياة، ومناسبة شروط العمران؛[2] وتقوم خطط الإنشاء على توزيع المهام على نحو عادل، وتحديد الأدوار بصيغة التكافؤ والتراضي؛ والأهداف هي إعمار الأرض، والسعي فيها بغير فساد، وإرساء نظام عادل، ينهض بنشر العلم، يستظل به قومٌ خَيِّرون، يوافقون شرع الله فيما يأتون من أفعال ومواقف.[3]

والتذكير بحضور تلك المدن في التاريخ يعزز ما نرى، وسيكون بمراعاة السبق والتتالي الزمني في الوجود؛ حيث قامت "ولاتة"، وكانت لها شهرتها قبل الحواضر الأخرى، وبأسماء قد تحمل على الاعتقاد بأنها منقطعة في الظرف الزماني عن سواها؛ فعُرِفت ب"بيرو" و"إيولاتن"[4]؛ ولذا سيكون المعتَبَر، في مقاربتنا هذه، هو وضعها يوم أصبحت مثل نظيراتها، وإن كانت أقدمهن؛ في ذلك الوضع، وقد روعي في "ولاتة"، أو روعي في خط القوافل أن تصبح محطة رئيسة فيه، وكان نظامها الاجتماعي وإسهامها الثقافي مثل الأخريات.

---

[1] . مثلما هي الحال في آبير؛ لما حالت مكانة يحيى دون إقامة الحد عليه؛ وكذلك حال القرى التي قامت وادان على أنقاضها. وذلك هو المتواتر في المصادر المحلية، سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، صحيحة النقل في علوية إيدوعلي وبكرية محمد قلي، مرقون لدينا منه صورة، ص:7؛ وسيدي محمد بن حبت، السرائر والسرور، مخطوط لدينا منه صورة، ص: 17.

[2] . من ذلك فعل مؤسسي وادان بِدَسِّ الألواح لاختبار التربة، والحكاية في هامش3 من ص7 من هذه الدراسة.

[3] . وقد أشرنا إلى رؤية القوم لأنفسهم في الحياة العقلية في مدينة شنقيط، مرجع سابق، ص: 100.

[4] . عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، طبعة المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، ميزونيف، باريس 1981، ص: 21.

يلي "ولاتة"، في الزمان، كل من "تيشيت" و"وادان"؛ وتشتبهان في نواح عديدة؛ مما سوَّغ إيرادهما معا. أما "وادان" فقد بدأ تأسيسها يوم عرفه (536هـ/ 1142م)، حيث كانت ثلاث قرى، متحاربة فيما بينها، قائمة في المكان؛ فاجتمع المؤسسون مع سكان تلك القرى، وتحالفوا معهم على التآخي في الإسلام وإقامة شعائره1؛ وتأسست "تيشيت" في السنة ذاتها، على يد الشريف الإدريسي عبد المؤمن ابن صالح؛2 وسترتبط "تيشيت" بشنقيط أكثر، فيما بعد، بسبب الموقع على خط القوافل.3

ب . التجاور والتماثل:

هذا الترابط والتشابه في الظروف والدوافع بين "تيشيت" و"وادان"، يعززه تَشابُه في نواح أخرى؛ مما يمهد لخطوة أكثر تقدما فيما نبغي؛ محاولة لتلَمُّس صيغ وأساليب التشكُّل في هذا الفضاء المحدد؛ تلك النواحي من التشابه سنتحسَّسها ما بين "وادان" وشنقيط؛ لنُلْفِي كلا منهما جاء تأسيسها إيذانا بزوال حاضرة عامرة، أو على أنقاض قرى كانت قائمة، أصابها اختلال في الأمن، وانفراط في العقد الجماعي. ويكون الانطلاق تَوافُقِيا؛ بالتراضي بإبرام معاهدة يتكفل المؤسسون فيها بالبناء وإقامة نظام ذي خصائص، أساسها الجماعية، وموافقة شرع الله.

في الموقع الذي تأسست فيه "وادان"، كانت قرى ثلاث، يحيا سكانها على النشاط الرعوي والزراعة والصيد؛ يعتمدون القوة في الذب عن الحمى، وفي تقاسم الأرزاق، واستباحة موارد المناوئين؛ مما قد يؤدي إلى التفاني وتقويض الوجود. وأصاب تلك القرى، في أسمائها في الوثائق المكتوبة، ما اعترى جل الأسماء قديمة من اضطراب، يعود، في الأساس، إلى اختلاف

---

[1] . المصطفى بن احمدان، **مساهمة في كتابة تاريخ وادان**، مرقون، نواكشوط، 1984، ص: 22.

[2] . المختار بن حامد، **حياة موريتانيا**، ج 2، الدار العربية للكتاب، طرابلس/ ليبيا 1990، ص: 198.

[3] . وذلك إبان العهد السعدي، منذ القرن العاشر الهجري، وحتى أفول التجارة عبر الصحراء.

النطق لدى الدارسين الأجانب، إضافة إلى أسباب أخرى،[1] قد يكون منها التنازُع في أصل الوضع؛ أو التكييف الوضعي، في شنقيط و"وادان"، مثلا.

ففي كل من شنقيط و"وادان" يبدو التنازُع قائما، ما بين مُعتبِر أن أصل الكلمة عربي، وآخر يراها "آزيرية" الوضع؛ ويزيد التنازُع تعقيدا، أنه من بين المُسَلِّمين بالاشتقاق غير العربي مَنْ حدتهم الرغبة في التعريب إلى أن يُكيِّفوا النطق والكتابة مع الصيغ العربية. والنتيجة واحدة لتؤول التسميتان إلى "وادان"، مُثَنَّى وادي ووادي، حُذِفت منه الياء مراعاة للنطق العامي؛ وشنقيط بإبدال كل من الجيم المصرية المنطوقة كافا معقودة،[2] والجيم المتفشية قافا، مُواعَمة مع الخط العربي؛ إذ كل من الثنتين غلبت على النطق مدة من الزمان.

أما اضطراب أسماء القرى، قبل "وادان"، فهو واضح في الأدب التاريخي الذي كُتِب حول المنطقة؛ كما هي الحال في المرويات الشفوية؛ فالتردُّد واقع في إطلاق هذا الاسم أو ذاك، ف(كولانا)، هي (ترقبيات)، وربما يكون ذلك بسبب من أن هذا الاسم سيبقى لتعيين مجموعة من التشكيلات القبلية التي ستعمر "وادان"؛ وتعرف ثانية القرى ب(تافرلا)، وأحيانا هي (تيفتيل)؛ وأما الثالثة فهي: (تامگونا)، وتدعى . أحيانا . (تامگنا). ومن الواضح أنه إذا كان من الفروق ما يعود إلى النطق، فإن منها ما لا يمكن إرجاعه إليه.

يقودنا الحديث عن تلك القرى إلى استكمال جوانب، تبدو هامة في الذي نسعى إلى استحضاره من سياق التأسيس؛ الذي تبين لنا فيه تواتر في كل

---

[1] . من تسميات الأوروبيين الأوائل من تعرف على المنطقة مبكرا، وهو البرتغالي فالانتيم فيرناندیز :
Valentim Fernandes, Description de la Cote d'Afrique de ceuta au sénégal, par Thédore.MONOD (1506 - 1507), librairie LAROSE, PARIS 1938, P :79
وكذلك ما أورد محمد الأمين ولد الكتاب، مراعاة لتسميات ألئك، وسنبينه في الإحالة3 في ص5.

[2] . وذلك واضح في اللهجات اليمنية والسودانية والحسانية، وفي النطق الصعيدي المصري؛ ففي الحسانية: (گال) في قال؛ وقرأ (أگر)؛ وقام (گام)، دون شمول كلمات مثلها؛ فينطقون القاف كما هي في قلم؛ لتبقى قلم، مثلا.

من ظروف نشأة مدينتينا؛ فحملنا على الجزم أن ثمة ما يسوغ الانطلاق منهما سبيلا إلى تعميم العوامل الفاعلة في فضائنا موضوع التحري. فحين انتهى المؤسسون من تحرياتهم عن المكان، وملاءمته البيئية، لم يشرعوا في البنيان إلا بعد توافر شروط، منها إبرام معاهدة تآخٍ وتكامل، مع سكان القرى الثلاث؛ وكما تخيروا في الأماكن، فضلوا أن يكون الانطلاق في البنيان في جو شعائري خاص.[1]

وسنراعي في الفاعلين الاجتماعيين اعتبار سكان القرى السابقة مُكوِّنا بشريا، في حين نحسب عدد الرجال الداخلين في المعاهدة مكونا رئيسا؛ نراعي فيه طبيعة الرقم، التي هي كبيرة الفائدة فيما نبغي من تجميع الدوالِّ؛ حيث الرجال المؤسسون، يُحدَّدون على طريقة فيها تدرج في الزمان ذو دلالة خاصة؛ إذ يتواتر في المصادر، في البداية ذكر ثلاثة، هم: الحاج عثمان، جد بطن أولاد الحاج؛ والحاج يعقوب، جد إيدياقب؛ والحاج علي، جد لوتيدات وإيدوبج.[2] وسيلتحق بالثلاثة رابع، ينتظم معهم في خطة البنيان، وفي العقد الذي سيُبْرِمون.

ذلكم الرابع هو: الحاج عبد الرحمن الصيام، ذو الأصل القرشي، والقادم . هو الآخر . من أغمات.[3] ومما له أهمية فيما نبغي هنا، التنبيه على أن المؤسسين صاروا يشكلون رقم أربعة . إضافة إلى المنخرطين الآخرين في البنيان، من سكان القرى المحليين . وأن الأربعة كلهم حجاج؛ وأنهم قادمون من المغرب؛ وهم ذوو رسالة علمية. علاوة على أن التأسيس موافق يوم عرفه؛ وأن المعاهدة المبرَمة، كانت بمثابة عقد اجتماعي، أهم بنوده العمل على بناء مجتمع متكافئ الأدوار؛ يصون النظام ويضمن العدل والكفاية.

---

[1] . كما تفيد الاستخارة التي سنشير إليها لاحقا، في ص6 هامش3؛ والتيامن في التأسيس بيوم عرفة.

[2] . المختار بن حامد، **حياة موريتانيا**،ج2، مرجع سابق، ص:198.

[3] - Mouhamed Lemine Ould EL KETTAB, **Ouadane, port caravanier mauritanien ses, fondateurs et leurs mouvements migratoires**,L'HARMATTAN,2006,p:47

ج . التكافؤ والتوازن في الأدوار :

ألمحنا في إشارات سابقة إلى أرقام اطردت العناية بها؛ فيما يبدو ذا دلالة على ما نحن مُنْقلِبون إليه من نتائج. وقبل الخلوص إلى ذلك، ننبه إلى الدلالة الرقمية؛ حيث يستأثر كل من الثنائية والزوجية، بما يتصل بالمخيال الجمعي، وبالنظام الجماعي، وبالسلوك والمواقف والأدوار الاجتماعية. على أن منتهى ذلك هو صيغة، الثنائية والرباعية؛ فترتبط الثنائية بأسس الوجود الاجتماعي وشروطه، كما تتحكم في الصور الذهنية، وفي المعايير والقيم؛ وليس هذا مقام التفصيل فيها؛[1] في حين ترتبط الرباعية بالتأسيس وأساطيره المصاحبة والمحفِّزة إلى التطور.

ولئن كنا سنرجئ مقتضيات الثنائية؛ لأننا سنحاول تَلَمُّسها حين الحديث عن النموذج المُتَمهَّل عنده، فإننا مشيرون الآن إلى شيء مما تدل عليه الرباعية؛ التي تأتي تمكينا للثنائية في المواقف الجماعية؛ حين يقتضى الدور تشكيلة بشرية؛ مثلما هي الحال في طور التأسيس، وفي الأساطير؛ ليكون اختزال الأربعة في اثنين، توازيا في الأدوار، وتقابُلا في القيمة، وتكافُؤا في الوظيفة، وتوازُنا في النظام، وتكاملا في الإنتاج، وفي النشاط الحيوي؛ إلى هذا الاختزال سيتعين إرجاع العوامل الفاعلة في الثبات والاستمرار، وما يتوطن في الذاكرة، والنظرة إلى الإنسان.[2]

ودون مستوى الاختزال، وما فيه من تجريد، يقع النظر إلى الأربعة، على أنها منشأ العقد الجماعي. ففي حالة "وادان"، كانت القرى قبل التأسيس ثلاثا؛ سيدخل معها مكَوِّن رابع، هو الرجال الثلاثة، أو الأربعة، باعتبار المآل.

---

[1] . وقد فصلنا فيها القول في عملنا المذكور سابقا، الثقافة الشنقيطية/ مقاربة نسقية، ص: 230.

[2] . حيث الذاكرة لا تُعنَى إلا بما يُعلِي شأن الجماعة، ويضمن التوازن وفق الثنائية؛ ويتحدد سلوك الإنسان ومواقفه بشروط الحياة الكريمة، لأن الدنيا مطية الآخرة. عملنا: الحياة العقلية في مدينة شنقيط، مرجع سابق، ص: 180.

وذلك بعد اختبار صلاحية المكان؛ فدسوا ثلاثة ألواح، في كل من مواقع شنقيط، و"آطار"، و"وادان"؛ فوجدوا ما واروا في شنقيط قد زحفت عليه الرمال؛ وما دفنوا في "آطار" قد جرفته السيول؛ أما الذي تركوا في "وادان" فقد عثروا عليه، وإن كان قد تضرر من قرْض الأرضة؛ فحسموا أمر الموقع.[1]

هؤلاء الثلاثة، بتكوينهم الفئوي، سيدخلون مع مكون رابع، هو سكان القرى الثلاث، في إبرام معاهدة، وتنفيذ خطة التشييد، وإرساء دعائم النظام. أما رابع الرجال، فسيكون التحاقه متأخرا عن الانطلاق، والشروع في تنفيذ الاتفاق؛ فلا ينشأ عن إضافته انزياح، ولا يُنظَر إليه على أنه خامس؛ إذ هو رابع الرجال، من حيث الاعتبار الفئوي، في تشكيل طرفي المعاهدة مع السكان الأصليين، وكان التحاقه، أو إلحاقه بعدما تساوقت الأمور في وجهتها، لإقامة نظام جماعي في كيان، أساسه الجماعية والتوازن.

تعدية إلى جوانب أخرى، مما نريد من تأدية المدينتين أدوارا مخصوصة، تشابهت حتى في صيغ أدائها، نذكر بأن "وادان" ما لبثت، حتى هاجر منها قوم؛ لم يُبْطِئوا حتى شكلوا رافدا علميا وادانيا، كان له إسهام كبير في التمكين لنهضة المدينة، وتأصيل المعارف فيها؛ وهو ما يمكن أن يعتبر نشأة موازية؛ هي التي مثلها وجود ودور الأوقيتيين في "تيمبكتو"؛[2] حتى لكأن الدور العلمي ل"وادان"، والمنحدرين منها والمساهمين مساهمة جُلَّى في دفع حركتها العلمية، جعلت لها ذراعين: جنوب شرقية وشمال غربية.

وبعد حين، ستكون هجرة، أخرى؛ إذ يمَّمَت مجموعة من الوادانيين منطقة "التوارزة"، في الجنوب الغربي من بلاد شنقيط؛ حيث وجدت مناخ قابلياتها الملائم؛ فلم تلبث حتى تبوأت مكانة مرموقة؛ بفعل نشاطها التجاري،

---

[1] . وذلك ما يعطي معنى للاستخارة، واختبار صلاحية المكان، التي تتواتر في المرويات الشفوية، وفي بعض الآثار المكتوبة. المصطفى بن احمدان، مساهمة في كتابة تاريخ وادان، مرجع سابق، ص: 22.

[2] . المختار بن حامد، حياة موريتانيا،ج2، مرجع سابق، ص: 198.

واندماجها في صناعة العلوم ثَمَّ. هذا في حين سيكون مستقرٌّ آخرُ للمهاجرين من "وادان" في الجنوب الشرقي من البلاد.[1] سوى أن ألئك سيُوائِمون، في سلوكهم، طبيعة القبائل المماثلة، وتلك هي أساسا مجموعات "الزوايا"، التي كان لوجودها طبيعة؛ هي التي حتمت، أن تكون الشوكة، إلى الاشتغال بالعلم، أساسا في الفعل الاجتماعي.

يقودنا ذكر هذه الحقائق إلى ظواهر عامة، اطردت في سياقنا، للوصول إلى قوانين شبه ثابتة، تنجم عن عوامل فاعلة، بدت قوية التأثير فيما نسعى إلى تَلَمُّسِه، من أسس ومقومات الفعل الثقافي، شمال الصحراء. غير أن تلك النتيجة لا تُسِيغ لنا أن نتجاوز، قبل التذكير بأهم ما يترتب على إلماحاتنا السابقة، وهو التقابل والثنائية اللذان استحكما في جل الظواهر. ففي البداية الوادانية كان هناك تقابل وتوازٍ في الفعل بين المدينة وامتدادها البشري في "أزواد"؛ وهو أساس التوازي في النشاط ما بين المهاجرين والمقيمين الذين مارسوا الدور في المنظومة الكبرى.

مقابل هذا التوازي والتوازن، كان هناك تواز ما بين المهاجرين؛ حيث هم مهاجرون قُدامَى، ومهاجرون جُدُد؛ وهم جنوبيون غربيون، وجنوبيون شرقيون؛ ومن حيث الفاعلية الاجتماعية مشتغلون، بالنشاط العلمي؛ ومُنْهمِكون في أنشطة مزدوجة، لوجودهم بين قبائل "الزوايا" ذات الشوكة، وهي، إلى ألئك ومن الْتفَّ حولهم، قبائل "كنته"، و"تجكانت"، و"تنواجيو"، و"الأقلال".[2] تلك القبائل التي أسهمت إسهامها الملحوظ في حركة العلوم، ودخلت حروبا فيما بينها، كما كانت تنشب الحروب بينها وبين مجموعات بني حسان ثَمَّ.

د . الانتباذ والتماهي:

---

[1] Mouhamed Lemine Ould EL KETTAB, Ouadane, **port caravanier mauritanien**, p53-54

[2] . إزيد بيه بن محمد محمود، تحقيق ودراسة إمارتا إيدوعيش ومشظوف، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس 1991، ص: 113، الهامش.

ولئن كنا قد جَلَوْنا ما سنُؤسِّس عليه العلائق الناجمة عن التشابه بين النماذج . فإننا، قبل ذلك، سنبين فعل آلية مركزية من آليات تشَكُّل النماذج الثقافية في هذا الفضاء الشمال الصحراوي، وتلكم هي: الأسطورة. غير أننا في هذا المقام لن نقف عند أنواعها، للتمييز بين أساطير التأسيس، وأساطير النزوع والتحفيز؛ فلتلك وقفة حين التلبُّث في مدينة شنقيط؛ أما هنا فإننا سنشير إلى ما وقر في الأذهان، من ارتباط الأسطورة بتاريخ مجموعات "الزوايا"، مشكلة خلفية فيما سنستعير له طور العبور نحو التميز القبلي في هذا الإقليم.

فقد كان المنزع الأسطوري ذو الخلفية الدينية مستأثرا بطور العبور، لدى مجموعات "الزوايا"، عموما؛ ومع ما هو واضح . في أنواع الأساطير . من اختلاف في طبيعة الأبطال وتشابه في الدوافع، فإن هذا المنحى العام، هو الذي يفسر تاريخ مجموعات عديدة؛ حيث شكلت الأسطورة، في القرنين السادس والسابع، وما بعدهما؛ عاملا رئيسا داخل نسيج تلك المجموعات التاريخي؛ فهذه رحلة مجموعة "تشمشة" (المخمسة)،[1] وذلك تاريخ قبيلة "كنته"؛ حيث المتواتر من هذا التاريخ، في صدره استئثار أسطوري واضح.[2]

---

[1] . صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية في معرفة الأنساب الحسانية، مخطوط، الحديث عن "تشمشة"، وقصتهم، هي: أن خمسة توجهوا إلى محلة "مدلش"؛ فأرسلوا أحدهم، فسمع من يقرأ القرآن؛ فحفظه، ولم يختلف عليه فيه إلا قوله تعالى:« فيه فيه رجال»"؛ فأتى أصحابه، وأخبرهم بما حفظ. فتابوا وسكنوا مع "مدلش"؛ وتسموا "تشمشة"، ومعنى الكلمة بالصنهاجية: الخمسة، وقد تعاقدوا أيضا على خمسة أشياء. المصدر السابق، ومحمد اليدالي، شيم الزوايا، ضمن نصوص من التاريخ الموريتاني، إخراج محمذن بن باباه، بيت الحكمة، تونس، 1990، ص: 70

[2] . بول مارتي، كنتة الشرفيون، تعريب محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق 1985، ص: 11 ؛ حيث يورد أن تاريخ كنتة يقسم إلى ثلاث فقرات هي:

1 . الفترة الأسطورية: وتمتد من نهاية القرن السادس حتى مطلع الخامس عشر؛ حيث سنجد عناء في بعض الوقائع أو التواريخ المحتملة في هذا المكان أو ذاك.

2 . فترة الرواية التاريخية: والتي تمتد من بداية القرن الخامس عشر، حتى مولد الشيخ سيدي المختار الكبير 1730، وتتسم بالأعاجيب غير المألوفة وتوافُقٍ غالبا الأحداث الخارجية.

وقد جاء أقدم نصوص تلك المجموعات وفاقا مع تلك الرؤية؛ وقصة سيد أحمد البكاء الكنتي،[1] مثال لما نريد. وفي السودان المصاقب ذلك المجال، ذكر البكري عجائب، عزاها إلى أهل تلك البلاد، تدل على أن الفضاء الشنقيطي كان مستنبَتا للخرافات والغرائب.[2] ولا يفوتنا . ونحن نتحدث عن مداخلة الأسطورة للتاريخ في بلاد شنقيط . أنه في القرون الموالية لتلك المدة، شاعت الكرامات والخوارق التي قد تكون انعكاسا للعامل البيئي.[3] وقد أسهمت الأسطورة، حسب اعتقادنا، في صنع التاريخ وغذت الوجدان الجمعي في تلك الجماعات.

وهنا يكون من المناسب أن نعمد إلى الاستئناس ببعض التحريات العلمية التي جعلت من الفضاء المكاني الذي تنتمي إليه المدينة موضوعا لها، وفي عهد زماني، بينه وبين عهدها تحاور؛ لأن وشائج القربى البادية في التشابه بينهما حميمة. ذلكم هو فضاء الغرب الإسلامي، وفي القرن الثامن الهجري بالذات. فمن مصادر ذلك الفضاء، في القرن "8" هـ ما فيه حديث عن أبطال الصوفية "غير أن الأسطورة تمتزج فيه بالتاريخ الحقيقي، رغم تحريات المؤلفين في كيفيات التحمل"[4]. وذلك كافٍ . في اعتقادنا . لتطبيق مفاهيمه على الأسطورة الشنقيطية.

---

3 . الفترة التاريخية: التي توافق القرن الثامن عشر، وتتلخص في حياة الشيخ سيدي المختار الكبير المتوفى 1826.

[1] – يروى الشيخ سيدي محمد في طرائفه: أن الشيخ سيد أحمد البكاء لبث مائة عام لم ترقأ دمعته، بسبب أن صلاة واحدة فاتته في الجماعة. الطرائف والتلائد، مصدر سابق، باب كرامات الشيح سيدي أحمد البكاء.

[2] – من ذلك أن في السودان معزا قصارا تحتك على شجر هنالك؛ فتحمل وتلد من غير ذكر، البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، الجزائر، مطبعة الحكومة 1857، ص: 177.

[3] – محمد المختار بن السعد، حرب شريبة أو أزمة القرن 17 في الجنوب الغربي الموريتاني، نشر المعهد الموريتاني للبحث العلمي 1993، ص:5.

[4] – د. محمد مفتاح، التيارالصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن 8هـ/14م، أطروحة دولة 1980 . 1981، ص : 3.

ذلك أن أغلب ما في تلك التحريات يمكن إرجاعه إلى ذكر الكرامات ومشروعيتها، والرد على من أنكرها، ومن حصلت على يديه من السلف، والحديث عن الخضر، والولي والولاية.[1] وقصة بناء شنقيط، وعريش "الولي الصالح السائح" محمد قلي[2]، آية ما نريد؛ وفي السياق العام يتضح أنه "لكثرة ارتياد الصوفية الجبال، والمرابطة فيها، صارت تحاك حولهم، وحول طرق التقاء الناس بهم قصص؛ تؤدي إلى تهكم، من ينطلق من معطيات مختلفة، كما أن الصورة التي يقدم فيها الرباط، يقوى بها الشبه؛ حيث يكون أحيانا مجرد نوالة أوعريشا.[3]

يفضي عمق الشبه بين هذا وذاك إلى تماثل؛ به يمكن تلمس العوامل الفاعلة في كلا السياقين. يضاف إلى الاعتبارين السابقين . مما يحدونا إلى الاستئناس ببعض التحريات العلمية حول الغرب الإسلامي في القرن "8" هـ . اعتبار ما انتهى إليه بعض أصحاب تلك التحريات؛ مُحدِّدا: أن من جنس المناقب نمطا يجد فيه القارئ انزياحا كبيرا عن الواقع الحرفي... ويمكن أن يدخل ضمنه كل ما يتعلق بشفاء المرضى، وطيِّ الأرض، وحصول البركة في الطعام، وتكليم الأموات والجمادات... أي كل ما يخرق قوانين الطبيعة المتعارف عليها.[4]

كثير من أوجه هذه المناقب، وتَمَثُّلات تلك الكرامات، هي ذات الأوجه في إنجازنا الأسطوري، في شنقيط. وربما يعزز منحانا في الدراسة، ما بات في حكم المتعارف عليه، من أن المناقب مجال محاذ للتاريخ التقليدي، وهو نقيضه؛ بمعنى أن هذا المجال المنقبي يأبى إلا أن يواجه المتغلِّب، عن طريق

---

[1] – المرجع السابق، ص: 2.

[2] – محمد بن إبراهيم بن بيك، الأب الجامع لقبيلة الأقلال، وهو أحد مؤسسي شنقيط الجديدة.

[3] – المرجع السابق، ص: 36.

[4] – د. محمد مفتاح، **مجهول البيان**، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، 1990، ص: 119.

التجاهل؛ فيقصيه باستحضار الأطراف النائية والأرياف والبسطاء والمهمشين، من خلال أعلام برزوا داخل المحيط المغلب، وانصهروا ضمن أحداث خارقة تقع خارج الزمن، وخارج ما كان يعرف، قبل اليوم، بالتاريخ.[1]

3 . النموذج بين الخرق والإمكان

قد ينشأ عن إقرارنا أن المناخ الأسطوري ساد أرجاء هذه المنطقة، اعتراض على ما نريد من تَمَهُّل لدى شنقيط، وتجلية العوامل الفاعلة في الحواضر الشمال الصحراوية، دون سائر الإقليم الذي كان، ومازال، يطبع حياته طابع البداوة، وإن لم تستأثر الحواضر بالفعل الثقافي دونه؛ سوى أننا نرى أن المجال البدوي ظل هامش الحواضر في الفعل؛ ناهيك عن أن المدينة، واءمت بين البداوة والحضارة؛[2] ومن هنا كان إيثارها بالدراسة، لتكامل العوامل التي رجَّحْنا أن تكون أقوى فعلا في الحواضر.

وإذا كنا سنُعنَى بشنقيط الجديدة؛ دون القديمة المدعوة "آبير"،[3] فإن عنايتنا تلك لن تحملنا على تجاهل أن بين الثنتين من ترابط الأحداث ما لا يتأتى معه أن نضرب الذكر صفحا عن الثانية. إذ سياق تأسيس شنقيط يمر حتما ب"آبير"؛ وكل الإنجازات التي مكنت لتلك، لا يمكن فهمها إلا بالتقابل مع أوضاع هذه. ناهيك عن أن أحداثا جساما كان لها ذكرها القوي لا تُنازِع فيها الثانية الأولى، على أن الشهرة التي أطْبقت الآفاق، والنماء متعدد الأبعاد، كانا من نصيب تلك. وإذن ما الذي هيأ لشنقيط؛ وكيف كانت نموذجا في الغرب الإسلامي؟

---

[1] – محمد القبلي، تقديم أعمال الملتقى الدراسي بعنوان: التاريخ وأدب المناقب، الرباط 1988، ص: 88.

[2] . قد أوضحنا، من قبل، أن دورة الحياة السنوية توافق ما بين البداوة والحضارة؛ وقد كان لذلك أثره في النشاط الاقتصادي للمدينة، الثقافة الشنقيطية/ مقاربة نسقية، مرجع سابق، ص: 174.

[3] . تواتر ذلك شفاها وكتابة؛ لنجده في صحيحة النقل... لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، وفي السرائر والسرور لسيدي محمد بن حبت؛ كما هي الحال في لمحات من تاريخ شنقيط، لشيغالي بن أحمد محمود.

أ . العامل الروحي:

لقد كانت "آبير" التي ستصبح مرادف شنقيط الأولى، حاضرة مزدحمة بمجموعات "الزوايا" مُشَكِّلة مُستقَرَّها لحين من الدهر، قبل أن تهاجر مجموعات منها، إلى جهات شتى، ويتخذ بعضها مواقع غير بعيد منها. وبغض النظر عن دوافع النزوح من "آبير"، وهل كان سببه، هو قصور الموارد الحيوية عن الوفاء بحاجة السكان؛ وما ينجم عن ذلك من قلاقل وبلابل، تنشأ الفتنة في رحمها؛ أم أن للهجرة أسبابا متعددة . فإن تلك المجموعات كانت تستظل بنظام جماعي،[1] يصون الأمن؛ وسيدركه الوهن، وينهار قبل تأسيس المدينة الجديدة.

فقد اتفقت الوثائق المكتوبة، والتقاليد الشفوية أن قبائل "الزوايا" قد ازدهرت تنميتها الرعوية في "آبير"، وزكا نشاطها الاقتصادي؛ حتى رأى بعض، أنها أصل جل تلك الفئة؛ وأن كل قبيلة يبدأ اسمها ب"إيد" كان لها سابق إقامة ثَم؛[2] وقد كان لمُكْثِها معا كبير الأثر في تَشَكُّلها، وتحديد هويتها؛ ليكون وراء خروج بعضها ما سينتاب الحاضرة من اضطرابات وقلاقل، ناجمة عن الكثافة السكانية، بسبب من تواجد تلك المجموعات جميعها؛ إذ الفِتَن هي دافع هجرة مؤسسي "تنيگي"، ومثلهم "تشمشة"، وكذلك "تاشدبيت"،[3] الذين سيحلون بعيدا عنها.

---

[1] . يتواتر رواية شفوية، وفي وثائق مكتوبة، أنه نظام الأربعين، المرحوم البناني أحمد محمود، مقابلة في دجمبر 1989 بنواكشوط؛ وابن حبت، السرائر والسرور، مصدر سابق، ص: 10؛ ومثله كان في وادان، المصطفى بن احمدان، مساهمة في كتابة تاريخ وادان، مرجع سابق، ص:63. والصيغة ذاتها كانت موجودة في المغرب، خصوصا لدى قبائل أمازيغية، على المحمدي، السلطة والمجتمع في المغرب، نموذج أيت باعمران، ط1 دار توبقال للنشر 1989، الدار البيضاء، ص: 53؛ ويرى ناعمي مصطفى أن منشأ مجلس الأربعين أمازيغي، الصحراء من خلال بلاد تكنة مطابع عكاظ، الرباط 1988 ص: 143، وما بعدها.

[2] . وذلك مذهب كل من ابن الحاج إبراهيم، ونوريس؛ صحيحة النقل...، مصدر سابق، ص: 9؛ و :

. *H.T. NORRIS, SAHARAN MYTH AND SAGA, P* 155,

[3] . المرجع والصفحة السابقان.

وبقدر ما يكون النظام استجابة لضرورات الوجود البشري، خصوصا في المجموعات الآخذة في التوسُّع؛ ليتكافَّ الناس، ويدفع بعضهم ظلم بعض، باستعارة التعبير الخلدوني[1] . فإن تلك الوظيفة، في حواضرنا هذه، تحدد بإقامة الحدود، ومواءمة شرع الله. وبذا يصبح من المتعين إحلالها محل الأمانة؛ حتى إذا ما قُوِّضت أركان أساسها الاجتماعي، بات من الضروري العمل على إيجاده؛ فيعاد تأسيس الكيان، وتزال أسباب الاختلال، وبقدر الوفاء بذلك تكون الاستجابة للحاجة؛ ومن هنا يكون تأسيس شنقيط، على حساب "آبير".

تقدم الذاكرة الجمعية مُنطلَق شنقيط، في سياقه الزماني والمكاني على نحو فيه كثير من الخروق المَعْزُوَّة إلى الكرامات. ولئن لم يكن المُراد، في هذا المقام، غير ما يجلو حدود العامل الروحي، وفعله المكين . فإن هذا العامل، فيما يبدو، يلابس كافة الظروف والأجواء التي اكتنفت ذلك التأسيس؛ مما سوغ لنا أن نعمد إلى مفهوم الأسطورة؛[2] لنُسبِغ الدلالة على مُكْتَنَفات ظرفين: مرة هنا، وأخرى بعد حين؛ أما الآن فنسميها أسطورة التأسيس، وأما الثانية فنعني بها حالة الدفع والنهوض، إثر مجيء الشاب الشاطر.

وبحكم تساوق الخُطَى في نَهْجِنا، فإننا مُؤَجِّلو تحليل الأسطورة، إلى وقفة تالية؛ لنلمح الآن إلى أثر العامل الروحي في التأسيس؛ والعلاقة الجلية ما بين وهن النظام في "آبير"، ودافع التأسيس؛ ليقوم البديل عن الحاضرة، والذي هو ذات الوقت استمرارٌ لها؛ وذلك ما تؤكده قرائن عديدة؛ منها أن الدور الإقليمي ستكون المحافظة عليه؛ وسيكون العمل على أدائه بصيغة أفضل؛ ومما هو في حكم المتَّفَق عليه أن المؤسسين كانوا تحت تأثير من مآل النظام؛

---

[1] . عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، ص: 43.

[2] . الأسطورة . في استعمالنا . بناء رمزي ذو دلالة معرفية معينة؛ ولا تعني أي دلالة قدحية بالانطواء على الكذب، أو ما في معناه، وقد اشتغلنا وفق ذلك المفهوم في التقافة الشنقيطية/ مقاربة نسقية، ص: 39 وما بعدها.

حيث أحدهم مُعْرِض عن الإقامة؛ وثانٍ فار من أن يلحقه النظام؛ وآخران يتلمسان السبيل إلى مأوى آخر.

لهذه العلاقة مع النظام السائد في "آبير"، والذي دب إليه الوهن؛ وجاء اختلاله سببا في نزوح المجموعات المشار إليها سابقا؛[1] وأدركه الانهيار، لَمَّا لم يقْوَ على صون العدالة؛ وعجز عن إقامة الحد على يحيى[2]. لهذه العلاقة غدا متعذرا أن يستمر النظام في موقعه الذي تعطل فيه؛ وإن ظلت الحاجة ماسة إلى تدارُكِه، بالحفاظ على طابعه الجماعي، والحرص على مُقَوِّمه الروحي، لتحقيق العدل، ومواءمة شرع الله، فيما تَأْتيه الجماعة من سلوك، وما تُقْدِم عليه من مواقف؛ وكل هذه المتطلبات يوفرها أن يكون المُنْطَلَق على مقربة من الموقع القديم.

استجابة لهذه الدواعي، عمد الرجال الأربعة إلى تأسيس شنقيط، على الأرجح في العقود الأولى من القرن الثامن الهجري؛[3] فوضعوا خطة، تراعي طبيعة الدافع؛ حيث بدءوا بالمسجد، وهو المُراعَى في بنيانه التحديد المؤدي إلى الاختلاف في التاريخ؛ تحديدا بعبارة بُنِي المسجد عام كذا.[4] أما من حيث التحكم في المآل، فقد اقتضت حيطتهم أن تكون البدايات أساس النهايات؛

---

[1] . وهي تجكانت مؤسسو مدينة تنيگي؛ ومجموعتا "تاشمشه" و"تاشدبيت" اللتان توجهتا إلى الجنوب الغربي للبلاد.

[2]- هو يحيى العلوي الأب الجامع لبطون عديدة من قبيلة إيدوعلى، وأحد الرجال الأربعة المؤسسين لمدينة شنقيط.

[3] . والقرائن لا تقبل ما ترويه الذاكرة الجماعية، ووثائق مكتوبة، محدّدة سنة 660؛ وثمة مقترحان آخران يريان أن التأسيس في بداية القرن التاسع؛ وذلك رأي كل من الأستاذ: سيد أحمد بن الدي، والباحث: الحسين بن محنض؛ ومع وجاهة الأدلة التي قدما، فإنها لا تكفي في القطع بما اقترحا.

[4] . فقد حدد سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم أن لتأسيس الجامع يومئذ نيف وأربعمائة سنة. وتاريخ تأليف صحيحة النقل هو العقد الأول من القرن 13هـ؛ ونقل عن سيدي عبد الله كل من ابن امبوجة العلوي، وابن طوير الجنة؛ وينطلق الأخير رواية عن شيخه؛ قائلا: "وقد أخبرني شيخنا سيدي عبد الله ... . قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه . في عشرة من هذا القرن الثالث عشر، أن وادان له سبعمائة سنة، ولشنجيط أربعمائة سنة."، تاريخ ابن طويرالجنه، تحقيق سيد أحمد بن أحمد سالم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 1995، ص:43 . 44.

فعمدوا إلى توزيع الأدوار، على نحو يضمن استغلال الاستعدادات والقدرات، في الإبان، ويؤول إلى التوازن، ويرعى التكافؤ في لاحق العهود.

ب . العامل البيئي:

التقى البناة الأربعة في مكان تحدد رُجْحانا أنه تلٌّ "گيطي"[1]؛ حيث بدأ محمد قلي إقامته الموقتة؛ وحيث رسم الرجال خطتهم، واتفقوا عليها؛ وإن كنا سنؤجل ما يقتضيه السياق من تفاصيل الخطة إلى حين . فسنذكر منها هنا، أن الرجال الأربعة بدءوا إنجاز مخططهم، غربي "گيطي"؛ على بعد ثلاثة أميال من الحاضرة القديمة، وقد راعوا في الاختيار مواءمة التربة، من حيث الاستواء، والبعد عن بحر الرمال الزاحف، وفق ما تتيحه شروط المواتاة البيئية؛ إذ بدا وكأن الرمال مقبلة من الشرق، في حين أن الخصوبة في حيز جغرافي محدود.

غير خاف أن ما يراعى في تأسيس المدن، هو طبيعة التربة ومصادر المياه، وقرب الإمداد بمواد البناء؛ أكثر من التثبُّت من ارتفاع معدل الخصوبة؛ سوى أن شنقيط اخْتِير لها، إلى جانب ذلك، أن تتوسط ما حولها يومئذ، من أحراش، وما سيكون حولها من واحات لاحقا؛ فكانت تتبدَّى، بعد حين من تأسيسها، واسطة ما اكتنفها من حدائق ذات بهجة، ظلت تجود بنصيب وافر من رزق أهليها؛ إذ القابلية للغراسة هي أساس التحكم؛ ومن الثابت أن الصلاحية للغراسة لا تتعدى ما يتاخم المدينة؛ مما لا يتجاوز مدى محددا شرقا وغربا.

يعزز القصدية فيما بينا، من مواتاة الموقع، وطبيعة التربة، والابتعاد عن تهديد الرمال . أن المُنْطَلَق الجديد أقرب إلى تشابك المياه في وادي شنقيط؛ فلقد كان شبه الدَّلْتا التي يلتقي عندها رافدا الوادي الغربي والشمالي قريبا من مركز المدينة؛ بحيث لا يفصل بينهما إلا البطحاء الغربية الشرقية الاتجاه؛

[1] . وهو تل يتوسط ما بين آبير، وشنقيط؛ وهو المكان الذي أقام به محمد قلي بداية، حيث التقى بكل من أعمر يبني، وإيديجر، ثم يحيى العلوي، فيما بعد؛ ليتدارسوا خطة البنيان.

وذلك هو مُسْتَنْبِت واحات "تنياره"،[1] الأغزر فيما تمد به من يانع الطلع.[2] كما يعني ذلك، ذات الوقت، مزاحمة "آبير" في مصادر المياه؛ والسيطرة على ممرات الإيراد والتصدير، والتحكم في خط القوافل الشمالي الغربي.

وقد يكون من عناصر المواتاة البيئية، أن شنقيط تتسم بالاعتدال المناخي؛ بتوسطها منطقة ظهر آدرار، بارتفاع هو الأعلى؛ حيث يبلغ 500 متر عن مستوى البحر. وقد استتبع تلك الجودة والمواءمة المناخية، والملاءمة الطقسية خصوبة في التربة؛ مما كان له كبير الأثر في غراسة فصائل كثيرة من النخل؛ حيث كانت مستنبت جميع الأنواع التي عرفتها المنطقة، علاوة على أخرى لم تستقم غراستها في سواها؛ كما زكَّت المصادر المتقادمة، والقرائن المتوافرة الغلال التي كانت تجود بها فصائل شنقيطية معينة، لا وجود لها خارج المدينة.[3]

ج . العامل الاجتماعي:

كان العامل الاجتماعي عاملا له أهمية العوامل الحاسمة في التأسيس، مثلما هي حال العاملين الروحي والبيئي، فقد بدا ذا أهمية قُصْوى؛ بما راعى فيه المؤسسون؛ وبما استمر عليه الوضع في عهود ازدهار المدينة؛ فكأنما كان أولئك الرجال، وهم يعمدون إلى توزيع الأدوار، والمهام المنجزة إبان التأسيس . وعلى نحو متكافئ . كأنما كانوا، ذات الوقت، يريدون أن يحتاطوا لمآل الوضع؛

---

[1] . تنياره: كغيرها من الكلمات المماثلة، آزيرية الأصل على الأرجح؛ وقد غلب في أسماء الأماكن أن تكون كذلك.

[2] . هذه إشارة إلى استعمال التمور موسم القيظنة، حين يكون التمر في أنسب آونة الاستعمال، والسكان مقيمون.

[3] . أورد أحمد بن الأمين الشنقيطي؛ أن من فصائل النخل الشنقيطي ما يجب نصاب الزكاة في غلة الواحدة منه، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط3 مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء 1961، ص: 430.

عَمَلا على ضمان التكافؤ في خَلَفِهم، ليرسوا دعائم مجتمع متعدد المهام؛ يسوده نظام جمعي، تقوم فيه الأدوار على التكامل والتوازن.

هذا الذي ذهبنا إليه من مراعاة التكافؤ في الأدوار، وتَوخِّي التوازن في المهام، تعكسه طبيعة المهام الدائمة، كما يؤكده طابع الأدوار، في استمراره الوظَفِي؛ ففي البداية كان الاتفاق على المهام الأساسية في إقامة البناء الاجتماعي الثقافي؛ مما ستكون له وشاية بنوازع الكيان؛ ولعله قطعي الدلالة على تلك النوازع، كما هي شديدة الوضوح في رسم الأهداف التي سيكون العمل على تحقيقها، اطرادا مع نمو المشروع، وتدرُّجا نحو الغايات المرجو الوصول إليها؛ تماهيا مع الدافع الروحي، واقتضاء للشروط المادية والواقعية البيئية.

لا يفوتنا . هنا . أن العامل الروحي داخَل العوامل الأخرى، وأنه بادي الفعل في كل الأدوار التي ستتوزع الرجال المؤسسين؛ إذ الشروط المادية لأداء المهام الدينية والسياسية، في صيغتهما الجماعية، هي إقامة مرافقها الضرورية، وتوفير الملاذ للقائمين عليها؛ ويزيد الدافع الروحي تمكينا اعتبار أن تلك الشروط من قبيل إعمار الأرض، والاضطلاع بمسؤولية الاستخلاف فيها؛ وذلك ما يعطي معنى لأن يتفرغ اثنان من الأربعة للبنيان، وتوفير مواده الأولية؛ في حين سينهض الآخران بالوظائف الدينية الأكثر مباشرة، من إمامة وسياسة عامة.

ومن أجل خلق الإطار الكفيل بالعمل على التوازن، وضمان تفعيله في صيغة التكافؤ، كان التشكيل القَبَلي يراعي الوظائف الاجتماعية؛ أكثر من مراعاة وحدة الفروع في القربى، رغم الركون إلى مقولة وحدة المنشأ والأصول البعيدة؛ حيث ستقوم البنية القبلية على ثنائية، تتمثل في جناحين يُكوِّنان اللحمة سَمَّوهما تسميتهم المثلى: "إيدوعلى والأقلال"، ويدَّعون وحدة المَحْتِد فيهما؛

بتأكيد الأصل القرشي؛[1] ولذلك احتاطوا من أجل التوازن في الأدوار المتصلة بالمنزلة الروحية، أو المكانة السيادية، بالمعيارين التزامني والتعاقبي.

عملا بمقتضى هذه الحيطة، كان العمد إلى تقاسم السلطة، ما بين الإمامة الصغرى، والإمامة الكبرى، التي كانت مقيَّدة، بأن تكون جماعية المصدر، ظرفية المأمورية؛ حتى لا تؤول إلى التوريث؛ وحتى يرعاها صاحبها حق رعايتها؛ وهذا الفصل هو المؤدي إلى التكليف الثنائي، تزامنا أو تعاقبا، في النهوض بالسلطتين؛ مراعاة لجناحي القبيلة، وفاء للتقسيم في المنطلق الذي بموجبه تولى محمد قلي الإمامة؛ وتولى يحيى السياسة العامة، وذلك في الأغلب الأعم، في حين بقي النهوض بالدورين معا نادرا، وفي حالات يسودها الأمن والاستقرار.[2]

غير خاف . إذن . أن الرؤية الجماعية كانت تتلبس فعل المؤسسين، غير أنها ستتخذ شكلا يختلف عما كان معهودا في "آبير"، وفي سواها من أشكال التجمعات البشرية، في المنطقة؛ ذلك أن الذي كان معهودا، هو أساسا، ما عُرِف آنئذ بجماعة الأربعين؛[3] أما في شنقيط، فالذي استقر عليه الأمر هو ما أسميناه صيغة الشيخ أو الزعيم.[4]على أن تولية هذا القائم على الأمر العام، كانت تستجيب للجماعية من اعتبارين، هما: أن يحكِّم المصلحة العامة، موافقةً مع شرع الله، وألا يكون له دخل فيمن يخلفه؛ ليبقى الاختيار من اختصاص الجماعة.

---

[1] . فقد اطرد في وثائقهم التاريخية ذلك النسب؛ حيث أكده كل من: سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، صحيحة النقل في علوية إيدوعلي وبكرية محمد قلي، ص: 3؛ وسيدي محمد بن حبت، كتاب السرائر والسرور ، ص: 4.

[2] . وذلك عهد الشيخ سيدي أحمد بن الوافي القلاوي، الذي تواتر في المصادر أن عهده كان قمة الازدهار؛ وبعده انفرط عقد الجماعة، ونشبت الفتنة، وكانت الهجرة. سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص: 8.

[3] . أشرنا إلى طبيعة ذلك النظام في ص12 هامش2، من هذه الدراسة.

[4] . وذلك ما أوضحنا في عملنا: الثقافة الشنقيطية/ مقاربة نسقية، ص: 180 . 181.

4 . الاتساق النموذجي والاستمرار

تتبدَّى الماهية النسقية الشنقيطية في أبعاد ثلاثة، هي: طبيعة المجتمع ونظامه السلطوي، والنشاط الاقتصادي الاجتماعي، ومنظومة الأفكار وصيغ هيمنتها. ولئن كنا قد تناولنا بعض هذه الأبعاد بالبسط في أعمال سابقة،[1] فإن التذكير بما تُفْضي إليه يبدو متعينا هنا؛ فالمجتمع الشنقيطي، مجتمع ذو مدينة تعمرها قبيلة أقامت شرعيتها على النسب القرشي؛ وواءمت نظامها السياسي مع ذلك، ووفق ما يقتضيه نشاطها الاقتصادي الاجتماعي؛ واتسق نشاطها الفكري مع اقتضاءات وجودها، ومع طبيعة ذلك النظام، وعملا على استمراره.

لا غرو . إذن . أن نمضي إلى الجزم بأن هذا الكيان المدروس كيان ستكون فيه القيمة العليا جماعية؛ بتضاؤل قيمة الفرد، ورضوخه للجماعة، وتكيفه مع مواضعاتها؛ ويرتسم سلوك والجماعة وفق رؤية إلى الإنسان والكون، لا تتيح للفعل القبول إلا بمقتضياتها الرامية إلى الإعراض عن مُتَع الحياة، والرغبة عن كل شاغل عن العبادة، أو عن أي مُنَغِّص للمصلحة الجماعية، الموجهة وجهة، مزهِّدة في الدنيوي، مرغِّبة في الأخروي؛ إذ الدنيا دار عبور، لا دار قرار، والآخرة هي المآل.[2]

لذلك فإن الزهد والتقشف اللذين طبعا السلوك والنشاط، لم يكونا مظهرين أفقيين؛ استأثرا بالمواقف الاجتماعية؛ وإنما كانا متحكمين فيما يأتيه الأفراد من مواقف، وفيما يمكن أن يتعرض للضوء من أفعال ومن سلوك معلن؛ وكانت الحياة في بعدها الاقتصادي الاجتماعي خاضعة، هي الأخرى، بحكم المرتكزات المعيشية، وبحكم طبيعتي الإنتاج والنشاط، لدورة سنوية، بها تختلف

---

[1]. ومنها المشار إليه في الإحالة السابقة، والحياة العقلية في مدينة شنقيط، المذكور من قبل عدة مرات.

[2] . قد ألمحنا إلى ما يقتضيه ذلك في ص4، هامش1.

الطبيعة المعيشية، اختلافا ما، من فصل سنوي إلى آخر، بفعل التنقل الدوري، ولاختلاف شروط الحياة؛ استجابة لتغيرات الطقس، ومواسم الغلال، وما إليها.[1]

تلك الأهداف التي كان العمل على تحقيقها، والآليات التي كان العمد إليها في كل ما له صلة بالشأن العام، ظل الركون إليها يقوى، كلما أحس القوم ضرورة مواجهة وضع، أو إزالة اختلال يعوق اتساق واقعهم، أو يضعف قدرتهم على المنافسة، التي كان من مرتكزاتها الأساسية ازدهار حركة العلوم والتميز في صناعتها، وذلك ما يعطي معنى لأسطورة الشاب الشاطر. فقد مثل الاقتيات الرمزي بما أخصبته تلك الأسطورة قوة دافعة، كان العبور بها من طور الانكفاء والانحسار إلى مرحلة الازدهار والتميز في علوم ذلك العصر.

ومن أجل تأدية الدور على الوجه الأكمل، راعت الأسطورة المتطلبات النسقية، حريصة على التوازن الاجتماعي، حرصها على شمول وتكامل المعارف وبذلك، ومن أجله كان التكوين النسقي مهيمنا بالازدواج والثنائية، ارتكازا على الرقم "أربعة"؛ وهو ما يرفض أي مُخِل بالثنائية؛ فكانت العلوم التي سيتلقى النابهون من الطلاب أربعة؛ وتعين أن يكون النابهون الذين يباشرون التلقي من الأستاذ . أيضا . أربعة، على أنه يلزم أن يأخذ عن كل من الأربعة أربعة آخرون؛ وبهذه الدقة والحيطة كانت مراعاة التكافؤ والتكامل، في كل ذي شأن.

بمراعاة الطبيعة النسقية، كانت الاختصاصات المُتفرَّغ لكل واحد منها، هي:

القرآن الكريم وعلومه؛ والحديث وعلومه؛ والفقه المالكي، خصوصا مختصر الشيخ خليل وشراحه؛ وعلوم الأداة، خصوصا متون اللغة والنحو والصرف. هذه

[1] . حيث يقيمون في المدينة شتاء وخريفا، والحركة رتيبة؛ وصيفا ينتقلون إلى الواحات؛ وتكون الحياة نشطة؛ وفي الربيع يخرجون إلى البادية، عملنا: الحياة العقلية في مدينة شنقيط، مرجع سابق، ص: 117، والتي تليها.

العلوم هي التي مثلت التكوين الأساسي في البناء الثقافي الشنقيطي، وشكلت النسق الثقافي، الذي حاولنا ترسم بعض أسسه، وعرض آلياته لتحديد طبيعته.

غير أن الدقة والحيطة اللتين روعيتا في بنية هذه الأسطورة، تحديدا لأهدافها؛ ومراعاة لصيغها التنفيذية، لم يبق لها إلا أثر ناقص في المنجز العياني الذي خلفته؛ فحين نَتَقَفَّى الخُطَى، سنعدم الأدلة المادية على وجود جزء من التشكيل الصوري الذي كان قِوامها؛ سوى أن الغائب في كل من الآليات والآثار العلمية، كأنما لا يكون غيابه أو تغييبه إلا مَوْقِعيا؛ حيث لا يشمل الجانبين معا؛ في حين أنه قد يلحق أجزاء من الاثنين كليهما؛ لأن المخيال الجمعي بحكم الدور المنوط به لا يتساهل في رفض كل ما يجافي، أو يخل بطبيعته النسقية.[1]

آية هذا الذي أسميناه غيابا أو تغييبا نجدها في نسيان أو تناسي بعض ما بدا مكينا في الأسطورة؛ غير أن المنسي أو المتناسى، لا يمكن أن يتجاوز، كما ولا كيفا، الحدود المانعة، التي يعتبر تجاوزها إخلالا بالثنائية، وقصورا عن الغاية النهائية. ويمثل الإخلال بالثنائية أن يتجاوز النسيان اثنين؛ فلا يبقى إلا واحد، أو يتوسط التذكر بين الاثنين والأربعة؛ فبفعل الذاكرة الجماعية، رغم تأكيد وجود أربعة، لم يتواتر إلا على تسمية اثنين من الطلاب،[2] ولم يحتفظ به مما أخذ عن الشاطر إلا مختصر خليل.[1]

---

[1] . وهو ما أدى إلى أن يُحتَفَظ، على جهة القطع، باثنين من الطلاب؛ وتردد في تسمية الثالث؛ غير أن التواتر على واحد من مكونات المحتوى العلمي، وهو مختصر الشيخ خليل وشراحه، ليس إخلالا بالتوازن؛ لأن القيمة الرمزية، والدور النفسي متحققان، حتى مع الواحدية. المرجع السابق، ص: 141 . 143.

[2] . الطالبان المسميان، هما:

. الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي، المتوفى 1107هـ/ 1696/م؛

. الطالب محمد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الوافي القلاوي، المتواتر أنه توفي 1110هـ/ 1699م؛ وهناك مؤشرات على أنه كان حيا في ستينيات القرن الثاني عشر الهجري، وأن وفاته في حدود 1169هـ؛ ليتأخر ربيع عمره عن ابن الأعمش، علاوة على أنه عده شيخه، وذلك يشكل تحديا للتواتر.

ولئن كانت طبيعة هذه الدراسة لا يستقيم معها أن نتتبع خُطَى وصيغ هذا الكيان، قبل اتساقه بناء اجتماعيا ثقافيا، فإننا سننطلق من تحريات لنا سابقة؛ ومن خطانا في متقدم هذه الصفحات؛ لننتهي إلى أن هذا الوجود غاية في التناسق، في أبعاده الفكرية، وتَمثُّلاته المادية، بدءا من طرق السكن، وأساليب العيش؛ حيث كان كل من التنشئة، والمصاهرات، والغذاء والزينة، والإمتاع العقلي والترفيه؛ مثلما كان توظيف الذاكرة، والنظرة إلى الزمان، وإلى الكون ودور الإنسان فيه، أثرا لنسق ثقافي استحكم في منظومة فكرية غاية في الصرامة والتشدد.[2]

وكان من مفعول النسق أن يكون العمل على تغليب الشأن والنظام الجماعيين؛ وأن تتضاءل قيمة الفرد في مستوييها الذاتي والتاريخي؛ ليكون التسليم بدونية الجيل بالنسبة إلى سابقه، وأفضليته قياسا على لاحقة؛ فقيمة الوجود تراجعية؛ وبذا يغدو التاريخ سكونا؛ فيه يعيد النسق إنتاج نفسه؛ عملا على تحقيق النمط، بإدراك أن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن الدنيا مطية الآخرة، دار القرار. واتسقت المنظومة الفكرية، وارتسمت المواقف، وتحدد السلوك على نحو شديد الضبط والتقنين.

وسيتمخض عن سيادة هذه المنظومة الفكرية بطبيعتها النسقية المهيمنة، أن يصبح السلوك . علاوة على الفرائض الدينية . مرسوما في شعائر تعبدية، وأنشطة دنيوية مقننة؛ وكان مدى حركة العقل أن يسهم في تمثل القيم جسديا؛ ولهذا، وربما يعززه الميل إلى التورع، والذي هو . أيضا . اقتضاء نسقي،

---

[1] . والأدق أن الذي احتفظت به الذاكرة هو المؤلفات الفقهية التي تلقوا عن الرجل، ولكن محور هذه هو مختصر خليل؛ إذ هي . إلى جانب المختصر. شراحه. المرجع السابق، ص: 170.

[2] . حاولنا تلمُّس الأطر المرجعية للنسق الشنقيطي بأبعاد تلك الأطر التاريخية والاقتصادية/ الاجتماعية، في منزع تحليلي، يتحسس العلاقة الجدلية بين الأفكار وصيغ الوجود المادي، في الثقافة الشنقيطية/ مقاربة نسقية، مما انتهى بنا إلى جل الأحكام التي أقررنا في هذه الدراسة.

وجدنا النتاج العلمي، في مستوى التأليف يسيرا، غير مكافئ صيت المدينة، يمكن أن يوصف بأنه امتداد للفكر المستهلك؛ بطُرَره وحواشيه وأنظامه؛ ولم يكن الشعر . في أغلب الأحيان . صوتا قويا؛ لما يبدو من مجافاته الاقتضاء النسقي.

خاتمة:

لقد تبين لنا، باستعراض، القواسم المشتركة، وأوجه التشابه بين الكيانات الثقافية شمال الصحراء، إمكان اتخاذ بعضها نموذجا للدراسة؛ وبالمقارنة بين "وادان" وشنقيط، بدا أن العوامل الفاعلة فيهما، كجزء من النظائر (ولاتة وتيشيت ووادان وشنقيط)، هي ذات العوامل، ويأتي العامل الروحي في مقدمتها، متَلبسا بالخوارق، ومَتبطِّنا الصيغة الجماعية، في نظام قوامه التكافؤ والتوازن. وقد ساعد على ذلك في شنقيط، المُتَّخَذة نموذجا، مواتاة بيئية، ونشاط اقتصادي منظم؛ فسادت منظومة فكرية استأثرت بنشاط العقل والسلوك؛ ووسَمت كل شيء بطابع التشدد، وقنَّنَت بكثير من الصرامة؛ مُحدِّدَة ما يأتيه الإنسان وما لا يأتيه.

المصادر والمراجع:

أ . باللغة العربية:

. أحمد بن الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط3 مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء 1961؛

. إزيد بيه بن محمد محمود: تحقيق ودراسة إمارتا إيدوعيش ومشظوف، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس 1991؛

. البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، الجزائر، 1857؛

. البناني بن أحمد محمود: مقابلة أجريت في دجمبر 1989م بنواكشوط؛

. بول مارتي: كنتة الشرقيون، تعريب محمد محمود ولد ودادي، دمشق 1985؛

. سيد أحمد بن أحمد سالم: تحقيق تاريخ ابن طويرالجنه، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 1995؛

. سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي: صحيحة النقل في علوية إيدوعلي وبكرية محمد قلي، مرقونة؛

. سيدي محمد بن حبت القلاوي: كتاب السرائر والسرور، مخطوط؛

. شيغالي بن أحمد محمود: لمحات من تاريخ شنقيط؛ مرقون لدينا منه نسخة.

. صالح بن عبد الوهاب: الحسوة البيسانية في معرفة الأنساب الحسانية، مخطوط؛ . عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الفكر، بدون تاريخ؛

. عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، ميزونيف، باريس 1981؛

. عبد الله العروي: تقديم كتاب السلطة والمجتمع في المغرب، نموذج أيت باعمران، لعلي المحمدي، دار توبقال للنشر ط1 1989، الدار البيضاء؛

. على المحمدي: السلطة والمجتمع في المغرب، نموذج أيت باعمران، ط1 دار توبقال للنشر 1989 الدار البيضاء؛

. قسطنطين زريق: نحن والتاريخ، دار العلم للملايين ط4 1979؛

. محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء 1986، بيروت؛

. محمد الأمين بن الناتي: الثقافة الشنقيطية/ مقاربة نسقية، مركز نجيبويه للتراث والمخطوطات، القاهرة، 2011؛

. ... : الحياة العقلية في مدينة شنقيط، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، شعبة اللغة العربية وآدابها، جامعة محمد الخامس 1997؛

. محمد القبلي: الملتقى الدراسي بعنوان: التاريخ وأدب المناقب، الرباط 1988؛

. د. محمد مفتاح: التيارالصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن 8هـ/14م، أطروحة دولة 1980 . 1981؛

. ... : دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت 1987؛

. ... : مجهول البيان، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، 1990؛

. محمد المختار بن السعد: حرب شربية، المعهد الموريتاني للبحث العلمي 1993؛

. محمد اليدالي: شيم «الزوايا»، إخراج محمذن بن باباه، تونس، 1990؛

. المختار بن حامد: حياة موريتانيا، الدار العربية للكتاب، طرابلس/ليبيا 1990؛

. المصطفى بن احمدان: مساهمة في كتابة تاريخ «وادان»، نواكشوط، 1984؛
. ناعمي مصطفى: الصحراء من خلال بلاد تكنة مطابع عكاظ، الرباط 1988.

ب . بالإنجليزية والفرنسية:

-H.T. NORRIS, SAHARAN MYTH AND SAGA, OXFORD AT THE CLARENDON PRESS, 1972;
-Mouhamed Lemine Ould EL KETTAB, Ouadane, port caravanier mauritanien, ses fondateurs et leurs mouvements migratoires,L'HARMATTAN 2006;
-Valentim Fernandes, Description de la Cote d'Afrique de ceuta au sénégal, par Thédore MONOD. (1506 - 1507), librairie LAROSE, PARIS 1938 .